

الفرق المسيحية

في

كتابات المؤرخين وكتاب الفرق والمقالات الإسلاميين

دراسة مقارنة ونقدية

مجدان بن إلياس

بحث تكميليّ مقدّم لنيل درجة الماجستير في معارف الوحي
والتراث (أصول الدين ومقارنة الأديان)

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا

أيلول ١٩٩٨



الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
بُوتِنَبْرُؤِيَّتِي إِسْلَامًا أَبَارًا بَعْجِيًا مِلْمِيَّتِيَا

ملخص البحث

تعتمد هذه الدراسة على كتابات المسلمين؛ في الفتوحات الإسلامية؛ عن الفرق المسيحية الثلاث؛ النسطورية، واليعقوبية، والملكانية، وما أورده علماء النصارى المحدثون عنها. وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى صحة ما أورده المسلمون عن هذه الفرق ومعرفة الصورة الحقيقية لهذه الفرق الثلاث: أصولها وأهم تعاليمها.

لقد اتفق المسلمون والنصارى على أن القضية الجوهرية التي تدور حولها الاختلافات بين هذه الفرق المسيحية الثلاث كانت حول مسألة الاتحاد؛ أي اتحاد "الكلمة" الإلهي في جسد يسوع المسيح؛ إلى جانب القضايا الأخرى مثل التثليث والعلاقة بين الجوهر والأقانيم، والاعتبار بقرارات المجامع.

توصلت الدراسة إلى أن المسلمين في القرنين الخامس والسادس كانوا أنجح ممن قبلهم في بياهم لهذه الفرق الثلاث، وقد كان بياهم موافقاً إلى حد كبير لما أورده علماء النصارى، مع بعض الأخطاء التي لا تُقلل من شأنهم، ويمكن الاعتماد على كتاباتهم لمعرفة حقيقة هذه الفرق.

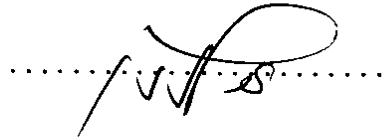
Abstract

This study analyses the works of several Muslim scholars, written during the period of Islamic expansion, on the three major sects in Christianity: *Nestorians*, *Jacobites* and *Melchites*, and compares these with the works of Christian scholars on the same sects. It aims at two major objectives: first, to find out how genuinely the Muslims viewed these sects, and second, to better understand these three sects in terms of their fundamental principles and teachings.

The study found that Muslim and Christian scholars concur that the main point of disagreement among the three Christian sects concerns the issue of unification i.e, the unification of the “Divine Word” with the person, the Jesus Christ. These sects also differ on issues such as trinity, the relationship between the substance and the *hypostasis* and the acceptance of the decisions made by Christian Councils. Second, the study also found that Muslim scholars of the fifth and sixth centuries better understood the issues surrounding the three Christian sects, than their predecessors. Their explanations were consistent with those of the Christians themselves, despite some minor errors, which are of less importance.

APPROVAL PAGE

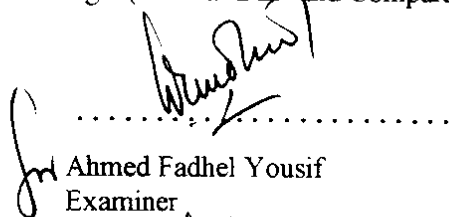
I certify that I have supervised and read this study and that in my opinion it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a thesis for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Usul al-Din and Comparative Religion).



Irfan Abdul Hamid Fatah
Supervisor

Date: ~~ed~~ . OCT . 1998

I certify that I have read this study and that in my opinion it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a thesis for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Usul al-Din and Comparative Religion).



Ahmed Fadhel Yousif
Examiner

Date: 3/10/98

This thesis was submitted to the Department of Usul al-Din and Comparative Religion and is accepted as partial fulfilment of the requirements for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Usul al-Din and Comparative Religion).



Wan Sabri bin Wan Yusof
Head, Department of Usul al-Din
and Comparative Religion

Date: 3/10/98

This thesis was submitted to the Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences and is accepted as partial fulfilment of the requirements for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage (Usul al-Din and Comparative Religion).




Abdullah Hassan
Dean, Kulliyah of Islamic
Revealed Knowledge and
Human Sciences

Date: 5-10-98

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. Other sources are acknowledged by footnotes giving explicit references and a bibliography is appended.

Name MAJDAN BIN ALIAS

Signature  Date 3/10/98

**© Copyright by Majdan bin Alias and
the International Islamic University Malaysia**

إهداء

إلى والدتي التي ربّنتني وتألّمت أثناء دراستي
إلى والدي الذي يفرح بنجاحي
إلى زوجتي التي صبرت ومرضيت بالبعد عني
إلى قرّتي عيني أسماء وعبد الله معاذ اللذين تألّما وصبرا مع

أمهما

وإلى محبي الحق جميعاً

أهدي هذا العمل

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابه أجمعين، وبعد،

فإن أحق من أقدم له شكري وتقديري بعد الله ورسوله هو أستاذي ومشرفي العالم الفاضل الأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، حيث اقترح عليّ هذا الموضوع، والذي لم يينخل عليّ بإرشاداته القيّمة، وتوجيهاته النافعة، وتعليقاته المفيدة.

وأقدم جزيل شكري لمتحن هذه الرسالة، فضيلة الدكتور أحمد فاضل يوسف الذي منح الرسالة من وقته غير ضانٍ عليها بتوجيهاته السديدة وملاحظاته المفيدة.

وأقدم شكري وتقديري لزوجتي التي قدّمت لي خدمة عظيمة منذ بداية دراساتي في هذه الجامعة ساهرة الليالي ومتحملة عبء مسؤولية الأسرة فضلاً عن تصحيحها الأخطاء اللغوية في هذه الرسالة.

ولا ينبغي أن يغيب عني ما قام به الأخ يوسف إبراهيم عمر من تصحيح الأخطاء اللغوية والأسلوبية لبعض فصول هذه الرسالة، فجزاه الله عني خير جزاء. ولا أنسى أن أعبر عن شكري للأخ يسري يوشع الذي سمح باستخدام جهازه الكمبيوتر أثناء عملي.

وكذلك لا أبخل من تقديم شكري لفضيلة الدكتور إبراهيم محمد زين الذي رُحِبَ بي لأن أكون مستمعاً عنده في مادة "علماء المسلمين في مقارنة الأديان" حتى يكون تصوري لموضوع البحث واضحاً، ولرئيس القسم فضيلة الدكتور وان صبري وان جوسه لاهتمامه بهذه الرسالة. فجزاهم الله عني خير جزاء.

ب	ملخص البحث
ج	ملخص البحث باللغة الإنجليزية
د	صفحة القبول
هـ	صفحة الإقرار
ح	شكر وتقدير
١	الفصل الأول: مقدمة
٨	إشكالية البحث
٨	أهمية الدراسة
٩	أهداف البحث
٩	تحديد مصطلح "الفرق المسيحية"
٩	الدراسات السابقة
١٢	المنهج المتبع في البحث
	الفصل الثاني: صورة الفرق المسيحية عند علماء النصارى
١٤	المدخل
١٥	المبحث الأول: النسطورية
١٧	أولاً: موجز عن خلفيات النسطورية التاريخية
٢٠	ثانياً: تعاليم النسطورية
٢٥	المبحث الثاني: اليعاقبة
	أولاً: المونوفيزية
٢٥	أ - موجز عن خلفياته التاريخية
٢٩	ب- أصناف القائلين بالطبيعة الواحدة
٢٩	ثانياً: اليعاقبة مذهباً

٣١	ثالثاً: تعاليم اليعاقبة
٣٤	المبحث الثالث: الملكانية
٣٤	أولاً: نسبة الملكانية
٣٦	ثانياً: تعاليم الملكانية
	الفصل الثالث: الفرق المسيحية في كتابات المؤرخين
٣٩	وكتاب الفرق والمقالات الإسلاميين
٤٢	قضية التثليث والعلاقة بين الجوهر والأقانيم
٤٥	بيان الشهرستاني لاختلاف النسطورية في الأقانيم
٤٦	قضية الاتحاد
٤٨	المبحث الأول: الملكانية
٥٣	المبحث الثاني: النسطورية
٥٨	المبحث الثالث: اليعقوبية
	الفصل الرابع: مقارنة بين ما أورده
	كتاب الفرق والمقالات والمؤرخين الإسلاميين
٦٣	وما أورده علماء النصارى عن الفرق المسيحية
	المبحث الأول: مقارنة بين ما أورده المسلمون وما أورده النصارى
٦٤	عن هذه الفرق
٦٤	النسبة
٦٤	نسبة النسطورية عند الشهرستاني
٦٧	المسيحولوجيا
٦٨	أ- الملكانية
٧١	ب- النسطورية
٧٢	ج- اليعقوبية
٧٥	استخدام المسلمين التشبيهات
٧٨	التثليث

٨٢	الجوهر والأقانيم
٨٤	ابن حزم واستخدام لفظ "الأشياء"
٨٦	مواطن انتشار هذه الفرق
٨٨	المبحث الثاني: صورة موضوعية موثقة عن هذه الفرق
٨٨	أولاً: النسبة
٨٨	ثانياً: ما اتفقت عليه هذه الفرق الثلاث
٨٨	ثالثاً: ما اختلفت فيه هذه الفرق الثلاث
٩٠	رابعاً: مواطن الانتشار
٩١	خاتمة
٩٤	فهرس المصادر والمراجع

الفصل الأول

مقدمة

معروف أن كتب المقالات والردود على النصارى دوت في أغلب من الأحيان وفق منهج ثنائي المقصد والغاية؛ هما الدفاع عن العقيدة الإسلامية وتبرير وجهة النظر الإسلامية، ونقض دعاوى المخالفين والرد عليها، فغلبت على تلك الدراسات تطبيق المقاييس الذاتية على الآخرين.

وهذه الدراسة المتواضعة، ومثيلاً في جامعتنا الإسلامية العالمية، محاولة لتجاوز سلبيات مناهج: الدفاع والنقض Apologetic and Polemic والاعتماد، -قدر الامكان- على منهج مقارن ونقدي راجح أن يكون هذا الجهد بداية طريق لبذل مزيد من القراءة النقدية المقارنة للمذاهب الدينية، ما دام ديننا الإسلامي الحنيف ألزماً بطلب ((العلم الحق والعلم النافع))، كما أشار إلى ذلك أحد رموز تراثنا الإسلامي وهو ابن رشد الحفيد، الفيلسوف الفقيه في كتابه "فصل المقال".

ولا ينبغي أن يغيب عنا أن الاختلاف الديني والسياسي في المجتمع البشري جزء من الطبيعة البشرية. ولذلك أقر القرآن الكريم بوجود هذه الاختلافات بين الناس. قال تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم}¹. وقال تعالى: {وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا}².

لقد شهد العصر الأموي تحول الدولة؛ من دولة عربية المنحى يسيطر فيها العرب على مراكز القوة فيها، وينفردون بالسلطة؛ إلى دولة إسلامية تتساوى فيها جميع الشعوب من جميع الأجناس والأديان ويكون للعرب فيها أثر مميز في اللغة والثقافة لا في مجال السياسة وإدارة الدولة فحسب. لقد أدى الانقسام الذي حدث بسبب هذا التحول إلى سقوط الدولة الأموية ومجيء العباسيين الذين ساووا بين المسلمين، عربهم وأعاجمهم³.

¹ الحجرات: ١٣

² يونس: ١٩

³ رضوان السيد، مجلة الاجتهاد، الموضوع: ((العلاقات الإسلامية المسيحية واستدعاء لصور التاريخية))، بيروت: دار

الاجتهاد والأبحاث والترجمة والنشر، العدد التاسع والعشرون، السنة السابعة، حريف ١٩٩٥م، ص ٦

كان العرب يحاولون منذ البداية دمج المسلمين وجمعهم في المجتمع والدولة بجعل غير العرب مواليا، ملحقين بالقبائل العربية، فتم لهم توحيد المجتمع في إطار الدولة الموحدة. كما تم لهم أيضا توحيد القوة السياسية للسلطة المركزية في الدولة العباسية بعد بضعة عقود من بدايتها^٤.

على الرغم من التعددية السياسية، وصعود الدول المختلفة وزوالها، وعلى الرغم من اتساع الرقعة الجغرافية الإسلامية، بقيت المناطق مفتوحة على بعضها ينتقل بينها الأفراد والبضائع بحرية وتجمعها أيديولوجيا واحدة. وكان الاتجاه التاريخي الغالب، على الرغم من التمزقات والتناقضات، هو اتجاه الاندماج والاستيعاب: اندماج الاثنيات والأعراق المختلفة واستيعاب الموجات البشرية الوافدة^٥.

عندما قامت الخلافة في جزيرة العرب، ثم فتحت ممالك الشرقين الأوسط والأدنى وأقطارهما، كانت المسيحية في هذه الأقطار موزعة بين كنائس اليعاقبة، والنساطرة، والأرثوذكسية أو الملكية، التي كان يطيب للمنشقين أن يسموها الكنيسة "الخلقندونية"^٦. ولم يكن النساطرة واليعاقبة أقل قدرا. فمنذ قرن أو قرنين كانت الحيرة - الواقعة في جنوبي الكوفة على أبواب بادية الشام - عاصمة النساطرة العرب الكبرى، يحكمها الأمراء اللخميون الذين خضعوا للفرس وانتهى بهم الأمر إلى اعتناق المسيحية ديناً لهم^٧. ومنذ القرن السادس، كان قد لجأ إليها ودخل تحت نفوذ الفرس، قوم - اضطهدهم الإغريق - من القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح. إلا أن العاصمة الكبرى للعرب القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح، كانت بصرى، شرقي الأردن، وكان يحكمها وال تتولى بيزنطة تعيينه مباشرة، أو أمير من أمراء الغساسنة، وهم عرب مسيحيون، يعمل لحساب بيزنطة^٨. هذا وإن اضطهادات الإغريق لليعاقبة القائلين بوحدة الطبيعة في المسيح، كان من شأنها أن تثير ما أثارت من الأحقاد

^٤ رضوان السيد، المصدر نفسه، ص ٦-٧

^٥ المصدر السابق، ص ٧

^٦ أي أنهم اعترفوا بقرارات المجمع الخلقندوني، ٤٥١ م، خلافا لليعاقبة والنساطرة.

^٧ ثم أزال الفرس ولاية اللخميين سنة ٦٠٢ م، وفتحت المدينة، سنة ٦٣٣ م، أبوابها للمسلمين من غير قتال. (لويس غردييه و ج. فنواقي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية. بيروت: دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٧٩ م، ١٤/٢)

^٨ انظر: دائرة المعارف الإسلامية. المادة: (بصرى)، بيروت: دار المعرفة، بدون طبعة، بدون سنة، ٦٧٢/٣

والضعائن. فاستسلمت بصرى بدورها، للمسلمين سنة ٦٣٤م، والتزمت دفع الجزية. وكان يحق للنساطرة أن يباهوا ببعض المراكز الفكرية. أما اليعاقبة فأكثرُوا عدد المدارس في القرى، ثم اقتدى بهم النساطرة بعد ذلك، وأنشأ كلا الطرفين أديرة كثيرة^٩.

هذه هي حالة النصارى في دار الإسلام أيام الفتوحات الإسلامية. ويبدو من الراجح أن يوحنا الدمشقي^{١٠}، آخر آباء الكنيسة، كان مطلعاً على العقائد الإسلامية، فهو وإن اتجه بكتاباتهِ إلى النصارى إلا أنه كان يفترض اعتراضات المسلمين: ((فإن قال لك المسلم)). وإذا كان خبير المناظرة التي قد تكون جرت بين المقوقس ((ملك الإسكندرية)) وبين حاطب ابن أبي بلتعة رسول النبي إليه لا يبعث على الاطمئنان، بالنسبة إلى الصيغة التي قد يكون رد بها مبعوث النبي على الأقل. فالأغلب على الظن أن المسلمين إثر الفتوح كانوا يرغبون في تبين حقيقة ما يعتقد رعاياهم من النصارى.

والقارئ المبتدئ يدرك في أول جولة له بين الكتب التي كتبها المسلمون عن المسيحية أنه حتى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، تغلب على هذه الكتب صفة أدبية: النقض أو الدفاع. ولتقف عند رواية تتحدث عن الإمام الباقر^{١١} عندما بعث رسولا عن أمير المؤمنين إلى الروم.^{١٢} لقد ذكر ابن عساكر وغيره: ((إن الباقر دخل يوما على الملك، فرأى عنده بعض المطارنة، فقال لكبيرهم مداعبا: كيف أنت وكيف

^٩ لويس غرديه و ج. قنوتي، المصدر نفسه، ١٥/٢

^{١٠} هو راهب أورشودوكسي إغريقي وعالم لاهوتي. ولد في دمشق وكان وكيلاً للمسيحية عند الخليفة. ولكنه استقال من عمله في وسط حياته وأصبح راهبا. اشتهر بكتابه "مصادر المعرفة" الذي أصبح كتابا معتمدا في اللاهوت الإغريقي الأورشودوكسي. ويعد يوحنا الدمشقي آخر آباء الكنيسة في الشرق.

(Douglas J.D. Elwell, Walter A. and Toon Peter. The Concise Dictionary of The Christian Tradition, The Article: (John of Damascus), London: Marshall Pickering, 1989 p. 209)

^{١١} (ت - ٥٤٠٣) هو الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقر. ولد بالبصرة ونشأ فيها وتوفي في ذي القعدة، سنة ثلاث وأربعمائة. (لترجمته، راجع: الذهبي، سير، ١٩٠/١٧ - ١٩٣، ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، النبأ والنهية، تحقيق: د. أحمد أبو مسلم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٥م، ٣٥١/١١، ابن العماد الحنبلي، المصدر نفسه، ١٦٨/٣، ابن خلكان، المصدر نفسه، ٢٦٩/٤ - ٢٧٠)

^{١٢} وروي أنه قد جرت له أمور، منها أن الملك أدخله عليه من باب حَوْحَة (وهو باب صغير) ليدخل راکعا للملك، ففطن لها القاضي ودخل بظهره. (الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٢م، ١٧/١٩٣-١٩٣)

الأهل والأولاد؟، فقال له الملك وقد تعجب من قوله: ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ومتقدم على علماء الملك! أما علمت أننا ننزله هؤلاء عن الأهل والأولاد؟، فقال القاضي الباقلاني: أنتم لا تترهون الله، سبحانه وتعالى، عن الأهل والأولاد، وتنزهوهم؟! فكان هؤلاء المطارنة عندكم أقدم وأجل وأعلى من الله، سبحانه وتعالى!!^{١٣} هذه الرواية على فرض صحتها تعكس صورة الجدل والنقاش الدينية العنيفة التي نشبت أيام الفتوحات الإسلامية. والسؤال الذي نثيره الآن: هل كان المسلمون في ثانيا ردودهم على العقائد المسيحية قد التزموا بدقة التعبير عن تعاليم الفرق الرئيسة ضمن المسيحية؟

لقد كان كتاب الفرق والمقالات يدعون الالتزام بمبدأ الوضوح والدقة في النقل عن الآخرين. قال ابن حزم: ((فإن كثيرا من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جدا، فبعض أطال وأسهب، وأكثر وهجر^{١٤}، واستعمل الأغاليط والشغب، فكان ذلك شاغلا عن الفهم، وقاطعا دون العلم، وبعض حذف وقصر، وقلل واختصر، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات فكان في ذلك غير منصف لنفسه في آن لا يرضى لها بالغيب في الإبانة، وظالما لخصمه في آن، لم يوفه حق اعتراضه، وباخسا حق من قرأ كتابه، إذ لم يفند به^{١٥} غيره. وكلهم - إلا تحلة القسم - قعد كلامه تقعيذا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم، وحلق على المعاني من بعد حتى صار ينسى آخر كلامه أوله، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم^{١٦}. فكان هذا عملا منهم غير محمود في عاجله وآجله))^{١٧}.

^{١٣} المصدر السابق، ١٧ / ١٩٠-١٩٣

^{١٤} ذكر في هامش الفصل: هجر: قال الهجر من الكلام، وهو البذئ الفاحش (ابن حزم الظاهري، الإمام أبي محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، جدة: شركة مكتبات عكاظ، ط ١، ١٩٨٢م، ٣٥/١)

^{١٥} وذكر في هامش الكتاب: ((لم يفند به)) (المصدر السابق، ٣٥/١)

^{١٦} وذكر في هامش الكتاب: ((أنهم أتجهوا هذا الاتجاه سترأ على معانيهم الفاسدة)) (المصدر السابق، ٣٦/١)

^{١٧} ابن حزم، المصدر نفسه، ٣٦/١، وذكر محقق الفصل أن هذه المقدمة تدل على منهج ابن حزم الذي أخذ به نفسه منذ البداية - منهج التزام الوضوح في الرأي، واحتجاب التقعيد في الفكر، واستيفاء حجج الخصوم عند العرض. (المصدر السابق، ١٨/١)

وقال الشهرستاني: ((وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق، ونفحات الباطل))^{١٨}. فما مدى التزام هؤلاء العلماء بمبدأ "الوضوح والدقة" الذي يدعون إليه؟

والملاحظ أن الشهرستاني عندما وصف الفرقة الملكانية، قال: ((أصحاب "ملكاء" الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها))^{١٩}. ولكن جاء في دائرة المعارف البريطانية Encyclopedia of Britannica أن تسمية هذه الفرقة بـ "الملكانية" Melchite مأخوذة من كلمة سريانية "ملكاء" التي تعني ملك. وقد أطلقت عليهم هذه التسمية؛ لأنهم كانوا يتبعون الدولة البيزنطية في قبول ما انتهى إليه مجمع خلقيدونية - The Council of Chalcedon (٤٥١م) : أن للمسيح طبيعتين لا طبيعة واحدة وهما اللاهوت والناسوت^{٢٠}. فالملاحظ أن وصف الشهرستاني يخالف ما ذكر في دائرة المعارف البريطانية عن هذه الفرقة.

لقد جاء في المعجم البسيط للسنن المسيحية أن يعقوبية هم "مونوفيزيت"^{٢١} في سوريا ومونوفيزيت هم الذين قالوا إن للمسيح طبيعة واحدة وهي اللاهوت وإن له أقنوما واحدا فحسب^{٢٢}. وعندما وصف الرازي هذه الفرقة قال: ((يقولون إن روح الباري اختلط بيدن عيسى عليه السلام اختلاط الماء بالبن))^{٢٣}. وأما الشهرستاني فقد وصف هذه الفرقة بقوله: ((إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر

^{١٨} الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. كتاب الملل والنحل. حققه عبد العزيز محمد الوكيل، بيروت: دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع، دون سنة، ص ١٤

^{١٩} المصدر السابق، ص ٢٢٣

^{٢٠} The New Encyclopaedia Britannica, Micropaedia, Ready Reference. The Article: (Melchite), Norton, Peter B. (President and Chief Executive Officer). Chicago: Encyclopaedia Britannica, Inc, 1995, p. 1029

^{٢١} راجع: Douglas J.D، المصدر نفسه، The Article: (Jacobites) ، ص ٢٠٥

^{٢٢} راجع: المصدر السابق، The Article: (Monophysitism) ، ص ٢٥٥

^{٢٣} الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. ضبط وتقديم وتعليق محمد المعتصم

بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧/٥١٤٠٧م. ص ١١٧

بجسده بل هو هو^{٢٤}. وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)^{٢٥})).

واضح أن ما جاء عند الشهرستاني مطابق لما ذكر في المعجم البسيط. ولكن ما جاء عند الرازي مخالف لما ذكره الشهرستاني و دوكلس ج. Douglas J.D.، فما السبب في هذا الخلاف في البيان...؟ ترى الدراسة أن وصف الرازي لليعقوبية أقرب إلى وصف غيره من المسلمين والمسيحيين للفرقة الملكانية وهو: أن للمسيح طبيعتين اللاهوت والناسوت، اتحدتا وما امتزجتا^{٢٦}.

عندما وصف الشهرستاني "النسطورية" قال: ((أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه...))^{٢٧}. ولكن المصادر المسيحية ذكرت أن نسطور ظهر قبل ذلك وأنه توفي قبيل مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م. فأين الصواب...؟ فهذه الدراسة تهدف إلى علاج مثل هذه المسائل التي ذكرت، ثم تقدم صورة موضوعية موثقة للفرق المسيحية.

ومن المعروف أن كتب الفرق الإسلامية قد كتبت في العصر الذي عرف في التاريخ الإسلامي بعصر الاستقطابات المذهبية^{٢٨} حيث ظهرت الفرق والمذاهب ضمن ملة الإسلام. ولا شك أن كتاب الفرق والمقالات الإسلاميين حينما كتبوا عن الفرق والمذاهب ضمن ديانة الإسلام غلبت عليهم في عرضهم هذه الروح السلبية في العرض والدراسة.

والسؤال الذي نثيره الآن... هل كانت هذه العصية والميول تسيطر عليهم في كتاباتهم عن الديانات الأخرى خاصة اليهودية والنصرانية؟ والأندلس مثلاً فتحه المسلمون ودخل سكانه الإسلام بعد أن كانوا مسيحيين. وكذلك الشام... فليس من المستحيل أن يعبر المسلمون

^{٢٤} الشهرستاني، المصدر نفسه، ص ٢٢٦

^{٢٥} المائة: ٧٢

^{٢٦} هذا ما انتهى إليه مجمع خليقدونية والذي أخذته الملكانية. راجع:

Kelly, Joseph F. The Concise Dictionary of Early Christianity. The Article: (Chalcedon, Council), Minnesota: A Michael Glazier Book, The Liturgical Press, 1992, p. 31

^{٢٧} الشهرستاني، المصدر نفسه، ص ٢٢٥

^{٢٨} فتاح، عرفان عبد الحميد. في محاضراته بالجامعة الإسلامية ماليزيا، ١٩٩٦م.

عن هذه الديانة بنوع من المبالغة في التحريح. إلى جانب ذلك فالمسيحيون حينما كتبوا عن المسيحية فإن النزعة العصبية الدينية بلا شك حملتهم على الدفاع عن المسيحية وقد ينتج عن هذه العصبية عدم الدقة في تعابيرهم عن ديانتهم. والدراسة سوف تحاول قدر الإمكان أن تلمس الموضوعية والحيدة في دراسة الموضوع بعيدا عن النزعات التمجيدية أو الدفاعية، التي تغلب عليها صفة النقض والنقض المقابل: Refutation and counter refutation

إشكالية البحث

الإشكالية التي يعالجها البحث تتمحور حول قراءة مقارنة ونقدية لما أورده الإسلاميون عن هذه الفرق والمذاهب المسيحية، وما أورده علماء المسيحية المحدثون عن تلك الفرق والمذاهب، ومن ثم تقدم صورة موضوعية موثقة عن تعاليم هذه الفرق وأصول عقيدتها بعيدة عن الدراسات التمجيدية أو الدفاعية أو التبريرية. والفرضية التي يمكن افراضها في هذا البحث :

"لقد انحاز المسلمون في التعبير عن الفرق المسيحية ولا يمكن الاعتماد على كتاباتهم وهذه الأخطاء تعود إلى أسباب عدة".

أهمية الدراسة

1. أهم ما تستفيد الأمة الإسلامية من هذه الدراسة: معرفة الصورة الحقيقية لأصول الديانة المسيحية لتكون عوناً للمسلمين في بناء منهج لدعوة المسيحيين إلى الإسلام، لأن معرفة الخلفيات الفكرية التي يعتنقها الإنسان تعين الداعي على اختيار الأساليب التي تناسب هذا الإنسان في محاولة دعوته إلى الإسلام. ومن جانب آخر فإن هذه الدراسة ستكشف المنهج العلمي الذي سلكه المسلمون في دراسة المسيحية في عصر الفتوحات الإسلامية، ليكون عوناً لمن أراد القيام بدراسة المسيحية في العصر الحاضر.
2. وهذه الدراسة بما أنها ستحتفظ بموضوعيتها تفيد المسيحيين من جانب أنها تبين تصور المسلمين للمسيحية، هذا بلا شك تعينهم في التعامل مع المسلمين، في إطار الجدل و النقاش الديني والعقدي.

أهداف هذا البحث

من أهداف هذا البحث :

١. التحقق من صحة كتابات المسلمين عن المسيحية من ناحية ومن صحة كتابات المسيحيين عنها من ناحية أخرى، على أن الدراسة سوف تنحصر في الفرق المسيحية التي عرض لها الإسلاميون بالدراسة والتحليل.
٢. تقلد صورة حقيقية واقعية يمكن أن تكون معتمدة عن هذه الفرق.
٣. النظر إلى المنهج العلمي عند المسلمين من خلال هذا البحث.
٤. دعم الطلبة الراغبين في دراسة المسيحية بمقرر محقق في هذا المجال.

تحديد مصطلح "الفرق المسيحية"

والفرق المسيحية التي سوف تقتصر الدراسة عليها هي التي ظهرت في القرون الأولى من نشأة هذه الديانة والتي ذكرها الإسلاميون؛ من مؤرخي الأديان والفرق؛ في كتاباتهم، مبتدئين بالعلماء المسلمين من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثامن الهجري. وهذه الفرق هي :

- النسطورية - Nestorians
- اليعقوبية - Jacobites
- الملكانية - Melchite

الدراسات السابقة

لقد سبق أن كتب الكثيرون عن الفرق المسيحية إلا أنهم لم يتناولوا الموضوع بشكل مخصص، وإنما عرضوا لها من خلال كلامهم على قضايا الأخرى في المسيحية التي لها علاقة بهذه الفرق.

لقد ذكر الدكتور رؤوف شلبي^{٢٩} والدكتور أحمد حجازي السقا^{٣٠} وأحمد شلبي^{٣١} عن أصول الفرق المسيحية الثلاث، كيف نشأت والعوامل التي ساهمت في نشأتها وأهم الشخصيات التي ساعدت على تطورها. ولكنهم مع ذلك لم يبينوا بشكل واضح تعاليم هذه الفرق وأصول عقيدتها إلا أن البيان كان يأتي في ثنايا عرضهم للقضايا الأخرى، ولم يكن هذا البيان كافياً؛ لأن الغرض منه كان لضرورة عرض الاختلافات التي وقعت في المسائل العقديّة عند المسيحية وليس الغرض الأول هو عرض هذه الفرق من حيث تعاليمها.

أما الشيخ محمد أبو زهرة^{٣٢}، فقد خصص في كتابه مبحثين سمي أحدهما "الفرق المسيحية" والآخر "الفرق القديمة في عهد التثليث" وبين فيهما بعض الفرق وأصول عقائدها وتعاليمها إلا أنه لم يبين المصادر التي رجع إليها ولذلك لا نعرف مدى صحة المعلومات التي ذكرها ولا نعرف سواء أكانت هذه المعلومات أخذها عن مصادر المسلمين أم أنه أخذها عن مصادر المسيحيين...! وإلى جانب ذلك فإنه قد ذكر بعض الفرق، وترك ذكر بعض الفرق الأخرى المهمة في تاريخ المسيحية.

وأورد محمد المعتصم بالله البغدادي؛ في ضبطه وتقديمه وتعليقه على كتاب "اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين" للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي^{٣٣}؛ آراء كتاب الفرق والمقالات الآخرين منهم الشهرستاني وابن حزم للمقارنة بين آراء هؤلاء

^{٢٩} لقد خصص المؤلف في كتابه باباً بعنوان "الفرق المسيحية قديماً وحديثاً" وتحدث فيه عن هذا الموضوع، (راجع: شلبي، الدكتور رؤوف. أضواء على المسيحية؛ دراسات في أصول المسيحية، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٧٥م، ص ١١٩-١٣٧)

^{٣٠} لقد تكلم المؤلف عن الفرق المسيحية في فصل بعنوان "الناسوت واللاهوت" وحاول أن يبين ما ذهب إليه المسيحية حول مسألة الآب والابن وروح القدس. واضطر خلال بيانه لهذه القضايا إلى عرض تعاليم الفرق المسيحية الثلاث؛ لأن هذه الفرق قد نشأت نتيجة الاختلافات التي دارت بينها حول هذه المسائل. (راجع: السقا، الدكتور أحمد حجازي. حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة. القاهرة: دار الفضيلة، ص ١٣١-١٥٢).

^{٣١} لقد أورد ذلك في باب "المسيحية في نظر المسيحيين" وبين أصول عقيدة التثليث التي اعتنقها معظم المسيحيين وذكر في ثنايا ذلك بعض الفرق التي تشعبت عن المسيحية نتيجة الاختلافات التي دارت عن قضية التثليث. (راجع: شلبي،

أحمد، مقارنة الأديان: المسيحية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٠م، ٢ / ١٢٦-١٧١)

^{٣٢} راجع: أبو زهرة، الإمام محمد، محاضرات في النصرانية. دار الفكر العربي، ص ١٤٩-١٥٥.

^{٣٣} الرازي، المصدر نفسه، ١١٥-١١٩.

الكتاب عن هذه الفرق. فيما أنه كان يريد تحقيق كلام الرازي فمن المعروف أنه يأتي ببعض آراء كتاب الفرق والمقالات عن هذه الفرق على سبيل الاختصار وليس التفصيل.

لقد تعرض **تومس ديفيد ريتشارد Thomas David Richard** في دراسته إلى عشرين رداً من ردود الإسلاميين على اعتقادات المسيحية في القرنين الثالث والرابع الهجريين. ففي الفصل الخامس من رسالته تحدث الباحث عن نظرة المسلمين نحو المسيحيين بعد أن عرض نصوص هذه الردود وتحليلها في الفصول السابقة. هذه الدراسة على الرغم من أنها تبين شيئاً عن نظرة المسلمين الأوائل نحو هذه الديانة، غير أنها كانت تختص بالمسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين ولا يدخل في البحث ما كان من القرون الخامس إلى الثامن الهجري. ومن ناحية أخرى تهدف هذه الدراسة إلى بيان ردود الإسلاميين، فلا نجد فيها صورة متكاملة شاملة للفرق المسيحية الثلاث. وفي كثير من الأحيان يصعب علينا أن نجزم من هذه الدراسة إلى أي فرقة ينسب قول من الأقوال...!³⁴.

وأما **محمد أبو ليلي**³⁵، فقد درس رؤية ابن حزم للمسيحية وتعرض في دراسته إلى المسائل التي أثارها ابن حزم مثل، الكتب المقدسة والرد عليها وشخصية المسيح، وعقيدة الصلب والفداء وقضية التثليث والاتحاد. لقد أورد الباحث في الفصل التاسع من دراسته رأي ابن حزم لمسيحولوجيا الفرق الثلاث في الاتحاد ونقضه له. هذه الرسالة يمكن أن تفيد هذه الدراسة من جانب إيراد آراء ابن حزم للفرق المسيحية، ولكنه كما هو معروف أن ابن حزم ليس هو الوحيد ممن كتب عن هذه الفرق كي تجتري بها هذه الدراسة في بيان المسلمين للمسيحية. ومع ذلك فإن هذه الدراسة تفيد ما نحن فيه لأنها تعرض لعلماء من أعلام المسلمين الذين كتبوا عن هذه الفرق.

ولعل خير ما تفيد هذه الدراسة هو كتاب الأستاذ **عبد المجيد الشرفي**. لقد بين الشرفي المسيحولوجيا للفرق المسيحية الرئيسة الثلاث حيث ذكر تعاليم هذه الفرق في مسألة الاتحاد، إلا أنه أورد آراء علماء المسلمين إلى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

³⁴ Thomas, David Richard, "Anti-Christian Polemic in Early Muslim Theology". (British Doctorial Thesis), The University of Lancaster, 1983, p.252-288

³⁵ Abu Layla, Muhammad, The Muslim Views of Christianity: with special reference to the work of Ibn Hazm (384-456AH). British Doctorial Thesis, University of Exeter, Faculty of Arts, Nov, 1983, p. 377.

ولذلك ليس في هذا الكتاب بيان أقوال من برع في هذا المجال من الذين عاشوا في القرنين الخامس والسادس من أمثال ابن حزم والشهرستاني والغزالي.^{٣٦}

فهذا البحث هو جهد علمي متواضع من حيث إنه محاولة تهدف إلى عرض ما أورده الإسلاميون عن هذه الفرق ومقارنته بما أورده المسيحيون من جانب، وعرض للصورة الحقيقية لهذه الفرق من جانب آخر.

المنهج المتبع في البحث

يكون هذا البحث بحثاً مكتيباً بحثاً والمنهج الذي يتبعه الباحث هو المنهج الوصفي التحليلي بالإطلاع على المادة العلمية المتوفرة عن الموضوع ويتركز البحث على دراسة الموضوع دراسة مقارنة ونقدية.

ففي الفصل الأول والثاني تقوم الدراسة ببيان صورتي الفرق المسيحية الثلاث؛ عند علماء النصارى المحدثين وعند كتاب الفرق والمقالات والمؤرخين الإسلاميين؛ من غير أن تتدخل الدراسة في الجدل والنقاش الذي أورده الفريقان. وفي الفصل الثالث تقارن الدراسة بين آراء الفريقين، تحليلاً ونقداً. وفي الأخير تقدم الدراسة صورة موضوعية موثقة عن هذه الفرق الثلاث.

ومما ينبغي الإشارة إليه، إن هذه الدراسة لا تنحصر على استخدام المصادر العربية فحسب، وإنما يستخدم بعض المصادر الأجنبية وعلى وجه الخصوص ما كتبت باللغة الإنجليزية عن الموضوع. فالنصوص التي استقاها الباحث من هذه المصادر إنما أوردها بعد أن قام بنقلها إلى العربية.

^{٣٦} الشرفي، عبد المجيد، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر، تونس: الدار التونسية

للنشر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٢٨٩-٩٩٦

الفصل الثاني

صورة الفرق المسيحية عند علماء النصارى

المبحث الأول: النسطورية

المبحث الثاني: اليعقوبية

المبحث الثالث: الملكانية